د.علي وطفة
جامعة الكويت

حقوق الإنسان وقيم التسامح في الإسلام

يشكل الإسلام معين نظرة شاملة إلى الكون والحياة الإنسانية بمختلف جوانبها وتجليا ا الروحية والعقائدية والاجتماعية. وتتميز هذه الرؤية الشمولية في صورة فلسفة قدسية تميزت بطابع الشمول والعمق الإنساني الذي تبلور في البيان القرآني قولا فصلا **بأن النبي محمد هو رسول الله إلى البشر** أجمعين حيث يرتسم في المنطق الإلهي قوله تعالى: **" قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا "** [١] ، ويتجلى شمول هذه الفلسفة الإنسانية بأقدس أبعادها في قوله الكريم: وما أَرسلْناك إِلا رحمةً لِلْعالَمِين[٢].

لقد جاء الإسلام رسالة قدسية في تكريم الإنسان إذ يقول تعالى ولَقَد كَرمنا بنِي آدم وحملْناهم فِي الْبر والْبحرِ ورزقْناهم مِن الطيباتِ وفَضلْناهم علَى كَثِيرٍ مِمن خلَقْنا تفْضِيلًا[٣]. وتجلى هذا التكريم في قوله تعالى : لَقَد خلَقْنا الْإِنسانَ فِي أَحسنِ تقْوِيمٍ[٤].

وهذه الآيات البينات دليل واضح على مكانة الإنسان وعظمته في البيان الإسلامي الذي لم **يقف عند حدود ما يسمى بحقوق الإنسان بل** تجاوز **هذه** الصيغة إلى فكرة أصيلة جامعة تتمثل في كرامة الإنسان و عظمته . وفي هذه الكرامة ما يفوق أي تصور لأن الكرامة الإنسانية هي جوهر كل حق ، وغاية كل سعي لتحقيق حريات الإنسان وحقوقه . ففي هذا التكريم يوضع الإنسان فوق الشبهات وفوق كل المحاولات التي

---

1 القرآن الكريم : سورة الأعراف، الآية ١٥٨.

2 القرآن الكريم : سورة الأنبياء ، الآية ١٠٧.

3 القرآن الكريم : سورة الإسراء ، الآية ١٥٨.

4 القرآن الكريم: التين ، الآية ٤.

يمكنها أن تنال منه ومن جوهره الإنساني العظيم ، وفيه رفض لكل ما من شأنه أن يمس الإنسان ، وإدانة لكل المفاهيم والتصورات التي يمكنها أن تنال من وجـوده وكرامتـه وعليائه . وقد بلغ من تكريم الله للإنسان أنه جعل منه غاية الوجود وتجسـدت هـذا التكريم الغائي في عدد من سور القرآن الكريم إذ يقول جلّ جلاله : وسخر لَكُم ما ِفي السماواتِ وما ِفي الْأَرضِ جمِيعا ِمنه ِإن ِفي ذَِلك لَآياتٍ ِلقَومٍ يتفَكرونَ " [5]. وبلغ من تكريم الله سبحانه وتعالى أن جعل فيه من قبس نوره العظيم وأمر الملائكة بالسجود لآدم يقول الباري عز وجل :ِإذْ قَالَ ربك ِللْملَاِئكَِة ِإني خاِلق بشرا ِمن ِطينٍ(٧١)فَِإذَا سويته ونفَخت ِفيِه ِمن روحِي فَقَعوا لَه ساجِدِين(٧٢)فَسجد الْملَاِئكَةُ كُلهم أَجمعـونَ [6]. أو من بعد ذلك التكريم **حديث عن حقوق الإنسان وكرامة الإنسان وحريات الإنسان** في **الإسلام العظيم .**

إن العالم عبارة عن مشروع إلهي قصد به سبحانه وتعالى إلى إبـداع مبـدعين، وإلى إحاطته بكائنات تكون أهلا لمحبته عز وجل. وهنا يترتب على الإنسان أن يخدم الله بإتمام العمل الإلهي حوله ، وفي نفسه وهو مدعو بنتيجة خلقه على صورة الله ومثالـه إلى أن يكون إلى حد ما بدوره خالقا وسيدا ومنظما [7].

وهذا الإنسان الذي خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ، هو آدم أبو البشرية، في **نظر الإسلام، وقد كرمه** الله **، وأبان مـ لته** حين **اعتـبره خليفتـه** في **الأرض فـأمر الملائكة أن يقعوا له ساجدين . فالله خلق الإنسان وجعله غاية للكـون ، وجعلـه مكنون أسراره وأودعه السجايا وأكرم العطايا ، فخلقه :** حيا، عالما، سميعا ، بصـيرا

---

5 القرآن الكريم : الجاثية ، الآية ١٣.

6 القرآن الكريم ، سورة ص ، الآية ٧١ ـ ٧٣.

7 ضاهر أبو غزالة : الإنسان مفهوم اللفظة اللغوي والفلسفي والديني ، الفكر العربي ، عدد ٩٠ ، خريف ١٩٩٧، السنة الثامنة عشرة ، (صص ١٧٩ – ٢٠٣)، ص ١٩٦ .

مدبرا، حكيما ، وتلك هي صفات الله سبحانه وتعالى وفي ذلك تجسيد لقول النبي صلى الله عليه وسلم " إن الله خلق الإنسان على صورة الرحمن "[٨].

وفي دائرة هذا التكريم الذي جعله الله للإنسان **انتظمت للإنسان حقـوق قدسـية، أبرمها الله سبحانه وتعالى** في **سننه وشرائعه** ، فجاءت الأديان السماوية السمحاء لتبلور إرادة الله سبحانه وتعالى في صون حرية الإنسان ، واحترام حقوقه وحرياته ، وذلك من أجل تحقيق غاية الخلق، في أن يكون الإنسان **وهو قبس من عقل إلهي** ، قـادرا علـى تحري عظمة خلق الله ، واكتشاف قدرة الباري سبحانه وتعالى، ليأنس الكون بإرادة الله في أن يكون الإنسان خليفة له في هذا الكون وفي هذه المعمورة .

لقد أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم **حاضنا ساويا لحقوق البشر** ، وجـاءت السنة النبوية الشريفة لتقدم للإنسانية أروع المُثُل في الإعلاء من شأن الإنسان والتعريف بحقوقه . **فالإسلام عقيدة حب ، وملحمة تسامح ، وينبوع قيم ساوية لا تنضـب .** وقد جاءت سير الصحابة الأوائل من المسلمين لتجسد هذا الحب وذلـك التسـامح في لوحة إنسانية خالدة ، فأخذت حقوق الإنسان في هذه اللوحة **صورة عطاء روحـي وأدبي وأخلاقي لا مثيل له** في **تاريخ الإنسانية** . وتألقت هذه الصورة الخالدة في خطبة الوداع النبوية حيث يقول صلى الله عليه وسلم معلنا مبدأ المساواة والحب بـين النـاس والبشر :

يا **أيها الناس إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربي على أعجمي ، ولا لأعجمي على عربي، ولا لأحمر على أبيض، ولا لأبيض على أحمر ، فضل إلا بالتقوى، ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد، ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب**[٩].

---

٨ رواه البخاري (٦٠/٤) .

٩ السيرة النبوية للندوي ص٥٤٤.

وتتالت عطاءات الإسلام في مجال حقوق الإنسان حيث جاءت خطبة الصحابي **الجليل أبو بكر الصديق**، وهو يوصي أسامة بن زيد قائدا لجيش المسلمين إلى الشام ، نموذجـا تاريخيا عظيما في حقوق الإنسان والقيم الأخلاقية الإسلامية السمحاء حيـث يقـول رضي الله عنه :

يا أيها الناس ! قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني : **لا** تخونـ**وا ، ولا تغلـوا، ولا تغدروا ، ولا** تمثّ**لوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ، ولا شيخا كـبيرا ، ولا امـرأة، ولا تعقروا** نخ**لا ولا** تحرقوه **، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ،** ولا بقرة، ولا بعيرا إلا لمأكلة . ولسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فـدعوهم، ومـا فرغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتوكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منها شيئا بعد شيء فاذكروا اسم الله عليه[١٠] .

لقد جاءت هذه الخطبة الإسلامية المشهورة في بيان الصحابي الجليل أبو بكر الصديق رضي الله عنه سفرا ليس لضمان حقوق الإنسان فحسب بل وحقوق الحيوان والشـجر والبشر." **والإسلام أغنى المعرفة البشرية بمبادئ الحرية ، والإخاء والمساواة والعدالـة الاجتماعية ، وهذه المبادئ** لم **توضع بشكل** مجرد **، وإنمـا مسـتوحاة مـن الحيـاة الاجتماعية للبشر** في **كل عصر ومصر**"[١١] .

وفي هذا المنحى يقول الفيلسوف الإنكليزي **برناردشو** مقولته الخالدة : "**لقد كـان دين محمد موضع تقدير سام لما ينطوي عليه من حيوية مدهشة و إنه لابد من القـول أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم منقذ الإنسانية، وأنه لو أتيح لرجل مثله أن يتولى زعامة العالم الحديث فإنه لمن المؤكد أنه سينجح** في **إيجاد الحل لكل مشاكله**[١٢] .

---

10 تاريخ الطبري ، ص٣٥٩.

11 محمود السيد سلطان : بحوث في التربية الإسلامية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩، ص ٥٨.

12 عبد الله علوان :معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة الأوروبية ، دار السلام، بيروت _ حلب ، ١٩٨٠ ، ص ١٦٨ .

" من الخطر أن نفصل بين مفهوم حقوق الإنسان والمثل العليا الدينية التي توحي ـذه الحقوق"[١٣]. لقد حرص الإسلام أن يحفظ للناس أمورا خمسا ، وأن يمنع أي اعتداء يمتد عليها بتقرير العقاب الصارم ، يـ ل بمن يقم منه هذا الاعتداء، وهذه الأمور هي: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل،وحفظ النسل، حفظ المال[١٤].

ونحن إذ كنا نستعرض اليوم بعضا من الرؤى الإسلامية في مجال حقوق الإنسان فـإن ذلك لا يأتي في سياق المنافحة عن دور الإسلام في ميدان الحقوق الإنسانية ، بل يـأتي ذلك منا تذكيرا وذكر فإنما الذكرى تنفع المؤمنين ، ويأتي ذلك تعريفا بأبدع القيم أسمى الحقوق التي اكتسبت طابعا قدسيا يعلو فوق إمكانيات البشر وإراد م وطموحـا م . ونأمل في سياق ذلك أن يلم قراؤنا وطلابنا بما أنعم الله علينا من عطاء وبما أغدقه علـى البشر من قيم تتصف بطابع الخلود .

يقول محمد الزحلي في هذا الصدد : إن حقوق الإنسان المهددة اليوم ، والتي ندعو إلى حمايتها واحترامها، قد **أقرها الإسلام وأعلى من شأنا منذ أربعة عشر قرنا،** فسبق ا سبقا بعيدا عما قال به القرن الثامن عشر الذي ينظر إليه بوصفه عهدا لحقوق الإنسان. لقد أيدها الإسلام وثبتها وجعل منها دينا وديـن. وأقامهـا علـى دعـائم أخلاقيـة وروحية[15].

ويقول عباس محمد العقاد مؤكدا فضل الإسلام في مجال حقوق الإنسان : لم تعلن في ثورات العالم الدينية حقوق عامة للإنسان قبل ثـورة الإسـلام في القـرن السـادس الميلادي[16]. ويقول سيد قطب في هذا الصدد: " إن الدين الإسلامي هو **إعلان عـام لتحرير الإنسان** في **الأرض من العبودية، إنه ثورة شاملة على حاكمة البشر** في **كـل**

---

13 انظر، مؤتمر الفقه الإسلامي وحقوق الإنسان في الإسلام، وزارة العدل، رياض ودار الكتاب اللبناني۔ بيروت، ١٩٧٢، ص٢١٧.

14عثمان عبد الملك الصالح : حق الأمن الفردي في الإسلام " دراسة مقارنة بالقانون الوضعي" مجلة الحقوق،كلية الحقوق بجامعة الكويت ،السنة السابعة، العدد الثالث، سبتمبر ١٩٨٣،(صص٣٣_١٠٧) ص٣٦.

15محمد الزحيلي: حقوق الإنسان في الإسلام . دار الكلم الطيب، دمشق، ١٩٩٧، ص١٠٣.

16 محمد الزحيلي: حقوق الإنسان في الإسلام المرجع السابق ، ص١٠٤.

صورها وأشكالها وأنظمتها وأوضاعها، وهو دعوة لتحطيم مملكة البشر وإقامة مملكة الله . ولم تكن هذه الرؤية الإسلامية لحقوق الإنسان مجرد رؤية فلسفية نظريـة **وإنمـا كانت إعلانا حركيا واقعيا إيجابيا** يراد له التحقيق العملي في صورة نظام يحكم فيه البشر بشريعة الله [17]. وفي هذا المسار يقول محمد عمارة:" فالحقوق الإنسانية في الإسـلام ضرورات فطرية للإنسان من حيث هو إنسان ، وإسلامنا هو دين الفطرة التي **فطرنا الله عليها ، فمن الطبيعي** والبديهي أن يكون الكافل لهذه الحقوق (...) ومن ثم أن **يكـون المصدر الطبيعي لمن يريد التماس** هذا السياج الفكري[١٨] .

عقمت أم التاريخ أن تلد حكاما كأبي بكر، وعثمان ،وعلي، وعمر بن عبد العزيـز وصلاح الدين الأيوبي... وعشرات غيرهم رضي الله عنهم.وعقمـت أم الدسـاتير أن تصنع دستورا كمبادئ الشريعة الإسلامية،وأنظمة القرآن الكريم في العمق والموضـوعية والدقة والشمول... لأن عظمة هؤلاء الحكام أ م أخذوا بأنظمة القرآن الكريم أن اختار الله له رجالا أخذوا بحكمته ، وساروا على هديه !! [١٩] .

وفي هذا الصدد كتب جيكوب ريزلر يقول مشيرا إلى عظمة الإسلام وتأثيره التاريخي : "على مدى خمسة قرون ساد الإسلام العالم بقوته وعلمه وحضارته الفائقة ، فبعد أن ورث الإسلام الكنوز العلمية والفلسفية للحضارة اليونانية ، نقل هذه الكنوز - بعد أن أثارها - لأوروبا الغربية ، وهكذا وسع من الأفاق الفكرية للعصور الوسطى وترك أثرا بارزا على أوروبا فكرا وحياة"[٢٠]. وفي هذا المدار أيضا يطاعنا المؤرخ الإنكليزي ويلـز في كتابه *ملامح من تاريخ الإنسانية:* أن أوروبة مدينة للإسلام بالجانب الأكـبر مـن قوانينها الإدارية و التجارية[٢١] .

---

17 صبحي الصالح : الإسلام ومستقبل الحضارة ، دار الشورى، بيروت ١٩٨٢، ص٢٢٩.

١٨ محمد عمارة : الإسلام وحقوق الإنسان: ضرورات لا حقوق، دار الشروق القاهرة ن ١٩٨٩ ، ص ٧.

19 عبد الله علوان :معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة الأوروبية ،،دار السلام، بيروت_ حلب ، ١٩٨٠، ص١٥٩.

20 حيدر بامات : إسهام المسلمين في الحضارة الإنسانية ، ترجمة ، ماهر عبد القادر محمد علي & عبد القادر البحراوي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، (من غير تاريخ) ، ص٧٨.

21 عبد الله علوان :معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة الأوروبية ، مرجع سابق، ص١68.

"إن أهم الصور الأولى لممارسة الديمقراطية في المنطقة **العربية كانت** في **صدر الإسلام الذي يشمل عصر دعوة الرسول العربي وعهد الخلفاء الراشدين**[٢٢]. فبعد أن تكاملت جوانب الثورة الشاملة التي جاء ا الإسلام أوائل القرن السابع **الميلادي بقيادة النبي الفذ محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ،** والطليعة الثورية التي التفت حوله تحقق تغيير عميق في المنطقة العربية والموعات البشرية التي تقطنها آنئذ حيث أرسيت أسس فكرية جديدة مخالفة لتلك التي كانت سائدة (...) فنشأ بذلك مجتمع جديد يقوم على أسس محددة وعلاقات وقواعد اجتماعية جديدة ، كرست على أساسها شرعية النظام الجديد ووجدت تطبيقها العملي في عهد الرسول والخلفاء الراشدين(...) وكان **الأسلوب الذي** تحقق **به ذلك يقوم على الدعوة والحوار والإقناع** [٢٣]. كما **ألغيت الصورة الاجتماعية القائمة على** تمايز **الناس وتفاو م وتناحرهم وحلت** محلها **صيغة تتسم بالمساواة والتفاعل والتلاحم" الناس سواسية كأسنان المشط"، "لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى**[٢٤] **.**

حق الحياة :

تقر العقيدة الإسلامية بأن حق الحياة ليس حقا من حقوق الإنسان بل هو حق من حقوق الله سبحانه وتعالى وواجب من واجبات الإنسان . فحياة الإنسان هبة الله سبحانه وتعالى ، وليس لبشر أن ينتهك هذا الحق ، أو أن ينال من هذا العطاء الرباني ، ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى يصون هذا الحق وبعلي من شأنه، فهو حق لله وليس حقا للبشر . ولذلك فقد حذر الله سبحانه وتعالى من انتهاك هذا الحق ، وبلغت عظمة هذا

---

٢٢ خالد الناصر: أزمة الديمقراطية في الوطن العربي ، ضمن مركز دراسات الوحدة العربية، الديمقراطية وحقوق الإنسان في الوطن العربي، بيروت،١٩٨٦،(صص ٢٥-٦٢) .ص٣٧.

٢٣ خالد الناصر: أزمة الديمقراطية في الوطن العربي ، المرجع سابق ،ص٣٨.

٢٤ خالد الناصر: أزمة الديمقراطية في الوطن العربي مرجع سابق .ص٣٩.

الحق أن الله حرم على الإنسان أن يقتل نفسه ومن فعل فله عذاب الجحيم. وقد وجبت محافظة الإنسان على حياته وعدم المخاطرة ا لقوله تعالى: ولَا تلْقُـوا بِأَيـدِيكُم إِلَـى التهلُكَةِ[٢٥].وقال ربنا سبحانه : ولَا تقْتلُوا أَنفُسكُم إِن الله كَانَ بِكُم رحِيما ومن يفْعلْ ذَلِك عدوانا وظُلْما فَسوف نصلِيهِ نارا وكَانَ ذَلِك علَى اللهِ يسِيرا[٢٦].ليس للإنسان أن يقتل نفسه فالحياة هبة سماوية وليس لأحد أن ينتقص منها .

قال عليه الصلاة والسلام في خطبة الوداع : " يا أيها الناس إن دماءكم وأموالكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم [٢٧].

لا تكتفي الشريعة الإسلامية بعقوبة الإعدام بحق القاتل، بل توقع عليه عقوبات أخرى في الدنيا والآخرة،كحرمان القاتل من ميراث القتيل، ومن وصيته أن كان موصـا لـه، وتحل عليه لعنة الله وغضبه ومعاقبته بأشد العقاب، فيجعله مقيما في جهنم، وذلك ثابت بقوله تعالى[٢٨]: ومن يقْتلْ مؤمِنا متعمدا فَجزاؤه جهنم خالِدا فِيها وغَضِب الله علَيـهِ ولَعنه وأَعد لَه عذَابا عظِيما[٢٩]. لأن الحياة هبة من الله فهو المحي والمميت. ويقول عـز وجل : مِن أَجلِ ذَلِك كَتبنا علَى بنِي إِسرائِيلَ أَنه من قَتلَ نفْسا بِغيرِ نفْسٍ أَو فَسادٍ فِـي الْأَرضِ فَكَأَنما قَتلَ الناس جمِيعا ومن أَحياها فَكَأَنما أَحيا الناس جمِيعا[٣٠].

قال صلى الله عليه وسلم: المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يخذله، **كلّ المسلم علـى المسلم حرام، عرضه وماله ودمه،** التقوى هاهنا بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخـاه المسلم [٣١]. لقد أودع الله سبحانه وتعالى الحياة في الإنسان وليس لغيره أبدا أن ينتـزع هبة الله . ولذلك فإن الإسلام وضع قانونا سماويا حرم فيه القتل وجعل من جرم القاتل

---

25 سورة البقرة، الآية ١٩٥.

26 سورة النساء ، الآية ٣٠-٢٩.

27 البخاري : كتاب الحجج ، المجلد ٣، ص٥٧٤، الحديث رقم ١٧٤١.

28 إحسان الكيالي: السلامة الشخصية وحقوق الدفاع ودور المحاماة في الإسلام، مجلة الحقوق،كلية الحقوق بجامعة الكويت ،السنة السابعة، العدد الثالث، سبتمبر ١٩٨٣،(صص١٧٥_٢١٤) ص١٨٦.

29 سورة النساء ، الآية ٩٣.

30 سورة المائدة ، الآية ٣٢.

31 رواه الترمزي.

للنفس الإنسانية الواحدة كقاتل للإنسانية جمعاء فويل للمجرمين والقتلة من عـذاب الله العظيم. قال تعالى في محكم تنزيله : **مَن قَتَلَ نَفْسا بِغَير نَفْسٍ أو فَسَادٍ فِي الْأرض فَكَأَنَمَا قَتلَ الناسَ جَمِيعا وَمَن أَحيَاهَا فَكَأَنمَا أَحيَا الناسَ جَمِيعا [٣٢].** ما أعظمه من قول فالله سبحانه وتعالى لا ينهى عن **القتل** التي **حرمها الله بل يدعو** إلى **إحيائها قانونـا كليـا شاملا ، ومن** يحيي **النفس الإنسانية الواحدة فكأنه أحيا الإنسانية** جمعاء**. ذلكم هـو قانون** الله **وقانون الإسلام إنه قانون** الحب المطلق **و**الحياة المطلقة **. يقـول سـبحانه وتعالى ناهيا ومحذرا** : " " ولَا تقْتلُوا النفْس اِلتِي حرم الله ِإلا ِبالْحق ومن قُتِلَ مظْلُومـا فَقَد جعلْنا ِلوِليِهِ[٣٣]. ومن يقْتلْ مؤمِنا متعمدا فَجزاؤه جهنم خاِلدا ِفيها وغَضِب الله علَيِهِ ولَعنه [٣٤]. وفي هذا الخصوص يقول عليه الصلاة والسلام :" لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم[٣٥].

المساواة :

يعد مبدأ المساواة في الإسلام مفتاح واحدا من مفاتيح الحضارة الإنسانية وأداة قويـة في انبعاثها وازدهارها على مدى التاريخ[٣٦] . وقد شرف النبي الكريم تاريخ **البشـرية بأروع المثل** في **تكريس المساواة** بين **البشر،** وينظر المؤرخون قاطبة إلى خطبة الـوداع النبوية علي أ ا أعظم إعلان تاريخي عن مبدأ المساواة القدسي بين البشر حيث يسـجل المصطفى أعظم سمفونية في الحب الإنساني والتسامح والمساواة إذ يعلن صلى الله عليـه وسلم قائلا : " **كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي** **على أعجمي ولا لأعجمي على عربي ولا لأبيض على أسود ، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى إن أكـرمكم عند الله أتقاكم**[٣٧].

---

33 سورة الإسراء .

34 سورة النساء .

35 الترمذي ، حديث رقم ١٣٩٥.

36عبد الله علوان معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة الأوروبية ، دار السلام للطباعة والنشر ، حلب ١٩٩٣، ص ٢٥.

37 الإمام أحمد بن خبيل: المسند Masnad ، اللد الخامس / صفحة ٤١١.

وجاء القرآن الكريم ليشكل ينبوع كل أصالة فكرية وكل منهج حكيم في الإعلان عن قيم الحق والمساواة بين البشر ، يقول رب البشر : " ياأيها الناس إنا خلَقْناكُم مِن ذَكَـرٍ وأُنثَى وجعلْناكُم شعوبا وقَبائِلَ لِتعارفُوا إِن أَكْرمكُم عِند اللهِ أَتقَاكُم إِن الله عِلِيم خـبِير (٣٨). ويعلن المولى هذا الحب الشامل في قدس آيات التسامح الإنساني بقوله تعـالى: " ياأيها الناس اتقُوا ربكُم الذِي خلَقَكُم مِن نفْسٍ واحِدةٍ وخلَق مِنها زوجها وبث مِنهمـا رِجالًا كَثِيرا ونِساءً واتقُوا الله الذِي تتساءَلُونَ بِهِ والْأَرحـام إِن اللـه كَـانَ علَـيكُم رقِيبا(٣٩).

وقال عليه الصلاة والسلام في تأكيد مبدأ الإخاء الإنساني بين المسلمين قانونا ربانيـا يحكم المؤمنين والمسلمين إذ يقول صاحب القول المبين : " المسلم أخـو المسـلم ، لا يظلمه، ولا يخذله، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن المسـلم كربة فرج الله عنه ا كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة (٤٠).

وقد جعل رسول الله من العبيد أخوة لأسيادهم وأوصى وصيته المشهورة: إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديهم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم من الأعمال ما لا يطيقون ، فإن كلفتموهم فأعينوهم ولا يقـولن أحدكم عبدي ولا أمتي ، ولكن ليقل فتاي وفتاتي(٤١).

لقد تشدد رسول الله مع الصحابي الجليل أبى ذي الغفاري حيث جادل عبدا أسـود فاحتد عليه وعيره بأمه قائلا: يابن السوداء، وإذا رسول الله يغضب ويقول طف الصاع " أي طفح الكيل يا أبا ذر " ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل إلا بـالتقوى أو بعمل صالح " فوضع الصحابي أبو ذر خده على الأرض وقال للعبد الأسود: قم يا أخي فطأ برجلك على خدي (٤٢).

ومن يتأمل في سيرة الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجد أنه ضـرب أروع المثل في مدى ما وصل إليه الإسلام من تقدير وتعظيم لمبدأ المساواة بين البشـر . لقد ساوى عمر بن الخطاب عليه السلام بين الملوك وعامة الناس من المسـلمين ومـن يستطع أن ينسى وقفة عمر بن الخطاب مع ابن الأيهم والأعرابي الذي داس إزار جبلة بن

38سورة الحجرات ، الآية ١٣.

39سورة النساء ، الآية الأولى.

40 متفق عليه.

41صبحي الصالح : الإسلام ومستقبل الحضارة ، دار الشورى، بيروت ١٩٨٢، ص٢٢٦.

42صبحي الصالح : الإسلام ومستقبل الحضارة ، المرجع السابق ، ص٢٢٦.

الأيهم فقابله هذا بالضرب ، ولما مثلا أمام عمر حكم عمر للإعرابي فقال له جبلة أما فأنا ملك وهو من عامة الناس يا أمير المؤمنين فأجابه عمر بقوله المشهور :" إن الإسلام سوى بينكما(٤٣).

ولا يستطيع التاريخ إلا أن يقف اليوم إجلالا أمام موقف عمر رضي الله عنه من الرجل الفتى القبطي الذي سابق ابن عمر بن العاص فسبقه ، فتعرض لاعتداء ابن عمر بن العاص حيث قال عبارته المشهورة التي ما زالت تدوي في أسماع التاريخ وهي : من متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا. ذلكم هو القول التاريخي المأثور الذي يفيض بكل معاني العدالة والإخاء والمساواة(٤٤)." لقد كان الخليفة الراشدي عمر رضي الله عنه نفسه مثالا نادرا للحاكم الزاهد الناسك القائل :" لا يحل لي من مال الله إلا حلتان حلة للشتاء، وحلة للصيف ، وقوت أهلي كرجل من قريش ليس بأغناهم . وكان عمر يضع إزرارا فيه اثنتا عشر رقعة، وكان في عام الرمادة لا يأكل إلا الخبز والزيت حتى اسود جلده، ويقول لنفسه : بئس الوالي أنا إن مت شبعان والناس جياع" (٤٥).

لقد " بلغ المسلمون من تكريم العبيد والموالي ذروة شامخة لا تسامى لأنهم تعلموا من النبي الكريم أم الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى(٤٦). وجاء في الذكر الحكيم : يأأيها الناس اتقُوا ربكُم الذِي خلَقَكُم مِن نفْسٍ واحِدةٍ وخلَق مِنها زوجها وبث مِنهما رِجالًا كثِيرا ونِساءً (٤٧).

فالإسلام هو دين المساواة والحرية والأخلاق والقيم الإنسانية جمعاء تجسدت في القرأن وتألقت في كتاب الله العظيم .

حرية الاعتقاد والتسامح الديني :

يعد الإسلام ممن أكثر نماذج الحضارة الإنسانية تسامحا في الدين و الفكر والاجتماع، فالإسلام هو أول دين في تاريخ الإنسانية الذي يعطي للإنسان الحق في اعتناق عقائد سماوية أخرى غير متفقة مع العقيدة الإسلامية ، وقد أقر لأصحاب هذه العقائد ممارسة شعائرهم الدينية في ظل الإسلام وحكمه ، وقد تعايشت في ظل الحضارة الإسلامية أقوام

---

43 محمد الزحيلي ، حقوق الإنسان في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٣٤٦.

٤٤ مصطفى الشكعة : معالم الحضارة الإسلامية ، الطبعة الأولى ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٣، ص٣١.

٤٥إمام عبد الفتاح إمام: الطاغية: دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي،سلسلة عالم المعرفة،مارس/ آذار ١٩٩٤،ص١٩٤.

46صبحي الصالح : الإسلام ومستقبل الحضارة مرجع سابق ، ص٢٢٦.

47 سورة النساء ، الآية ١.

وشعوب وعروق وقوميات وأجناس وثقافات مختلفة ، والفاتحين العرب كانوا أكثر الفاتحين تسامحا في التاريخ.

وبلغ من سماحة الإسلام وتسامحه أنه أخذ بقلوب كبار العلماء والمفكرين في العالم الذي أخذهم عظيم الدهشة والعجب لما تميز به الإسلام من قيم التسامح والحب والعدل والمساواة حيث يقول المؤرخ الشهير غوستاف لوبون في كتابه تاريخ العرب مقولته المشهورة وهي " ما عرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب من العرب (٤٨). ويقول أرنولد توينبي في كتابه الدعوة إلى الإسلام:" لقد كانت هذه المعاملة الرحيمة سببا في التجاء الكثير من الصليبيين إلى الإسلام والدخول فيه (٤٩) . ويعلن بيك دولاميير أندول أيضا ، وهو كاتب ومحرر "بيان عصر النهضة " الأوروبي يقول في بيانه : لقد علمني أجداد العرب (وهو لم يكن عربيا) إن الإنسان هو أسمى ما في الوجود أو تلك كانت ، فكرة الأنوار الأساسية (٥٠).

أوشك الباحثون من عرب وأجانب أن يسلموا بأن الدين الإسلامي هو دين الحرية الفكرية ودين الحقوق الإنسانية لقوله تعالى : " لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ".ويؤكد الباحثون أن قتل المرتد ليس عقوبة على حرية الفكر والاعتقاد في ذاته ، فالإسلام كفل حرية العبادات لليهود والنصارى من غير إكراه ولا تضييق، بل إن قتل المرتد يأتي كعقوبة على خيانة ومكيدة دينية هدفها الطعن في الدين الإسلامي عن طريق الدخول فيه والخروج عنه .

لقد ضمن الإسلام حرية الاعتقاد للمسلمين فمنع الإكراه في الدين وأقر التسامح الديني الذي لا يعرف له التاريخ مثيلا (٥١). فالإسلام لا يكره أحد على الدخول فيه واعتناقه لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تبين الرشد مِن الغي فَمن يكْفُر بِالطاغُوتِ ويؤمِن بِاللهِ فَقَد استمسك بِالْعروةِ الْوثْقَى لَا انفِصام لَها والله سمِيع علِيم (٥٢). يقول ابن كثير في هذا السياق " أي لا تكرهوا أحدا على الدخول في دين الإسلام فإنه يقين واضح جلي في براهينه ودلائله. وفي هذا المنحى الإنساني العظيم يقول صلى اللهم علَيهِ وسلم " يسروا ولَا تعسروا وبشروا ولَا تنفروا (٥٣) .

48 عبد الله علوان :معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة الأوروبية ،دار السلام،بيروت ـ حلب ١٩٨٠، ص١٥٦.

49 عبد الله علوان :معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة الأوروبية ، المرجع السابق ،ص١٥٨.

٥٠ محمد صوان ،خمسون عاما على إعلان حقوق الإنسان ، الأسبوع الأدبي ، العدد ٦٠٩ ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٩٨، ص ٦.

51 محمد الزحيلي ، حقوق الإنسان في الإسلام ، مرجع سابق ، ص١٧٢.

52 سورة البقرة ، الآية ٢٥٦.

٥٣ صحيح بخاري، رقم الحديث٦٧.

وجاء في قرآن التسامح ودستور الأخلاق عدد كبير من الآيات العصماء التي ترفع من قيم التسامح والسلام حقائق كلية وجودية حيث يقول رب العالمين : " ادفع بالتي هـي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم " (٥٤). ويقول سبحانه " خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين (٥٥). وقال رب العباد " فأصفح عنهم وقل سـلام فسوف يعلمون " (٥٦).

حارب الإسلام العصبية والتعصب يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية " ٥٧. يقول عليه السلام : من نصر قومه على غير الحق فهو كالبعير الذي ردي فهو يـ ع بذنبه ٥٨"

وفي سلوك النبي صلى الله عليه وسلم تنهض حقائق التسامح والحب بين البشر وتتأصل كل المعاني النبيلة للإنسان والإنسانية لترتفع إلى مكان الأساطير الخالدة . فبعد سـنين طوال (إحدى وعشرين عاما) من التعذيب والقهر والتنكيل والحرب والتهجير الـذي عاناه النبي الأكرم من قبل أهل مكة استطاع النبي أن يدخل مكة ظافرا قويا منتصـرا ، ونادى في أهل مكة قائلا لهم ما ترون أنني فاعل بكم ؟ فأجابوه أخ كريم وابن أخ كريم . وعندها قال لهم النبي الأعظم : اذهبوا فأنتم الطلقاء . فهل بعد هذا الصفح صـفح أو بعد هذا التسامح تسامح أو إحسان ! .

وهنا أيضا يمكن الإشارة إلى حدثين تاريخيين من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يشار إليهما : الأول أن النبي عليه الصلاة والسلام كان جالسـا ذات يـوم مـع أصحابه فمرت به جنازة فوقف احتراما لها . قال له أصحابه (يا رسـول الله إن هـذه جنازة يهودي) فأجاب (ولكنها نفس) تأكيدا لقوله تعالى: (خلقكم من نفس واحدة). دون النظر للأديان والنظر والاعتبارات الأخرى(٥٩).

الحادثة الثانية أنه صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع عدد من أصحابه بينهم سلمان الفارسي أخذوا يتحدثون عن أجدادهم العرب. وكأ م يحاولون غمز سلمان فهذا ابـن

---

54 سورة فصلت ، الآية ٣٤.

55 سورة الأعراف ، الآية ١٩٩.

56 سورة الزخرف ، الآية ٨٩.

57 رواه أبو داود : عن : محمد الزحيلي: حقوق الإنسان في الإسلام . دار الكلم الطيب۔ دمشق، ١٩٩٧، ص١٥٨.

58 رواه ابو داود عن : محمد الزحيلي: حقوق الإنسان في الإسلام مرجع سابق ، ص١٥٨.

٥٩ مداخلة محمد جواد رضا :سعد عبد الرحمن :الأطفال والـ عة إلى العدوان،ضمن: الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية: الأطفال والتعصب والتربية: احتمالات الا يار الـداخلي للثقافة العربية المعاصرة، الكتاب السنوي السادس، ١٩٨٩،ص١١٣.

فلان وهذا حفيد فلان ، أخذ كل منهم يتحدث عن سلالته وآبائه وأجداده في الجاهلية . وبعد أن فرغوا من ذلك توجهوا إلى سلمان قائلين: (حدثنا عن نفسك) وماذا كـان بمقدور سلمان أن يقول وهو الفارسي المعروف ، أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فبادر إلى القول (سلمان من أهل البيت) وهكذا ألحقه بأشرف البيـوت العربيـة لتعليم الناس(٦٠).

" إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتخفف في صلاته من أجل بكـاء طفـل صغير. إن هذا ليس بالدين الذي يرهب طفلا، وحين جاء رجلا لا يعرف من الإسـلام إلا القليل قال: يا رسول الله إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ، فقال له: أيها العربي ماذا تقول؟ قال: أسأل الله الجنة وأستعيذه من النار. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا ومعاذ حول هذا ندندن. وببساطة جدا فإن هذا النبي الكريم الذي كان يقتدى بـه في الحرب، هو نفسه الذي كان يفتح الباب لقطة يسمعها تموء في بابه ، ويميل لها الإناء لتشرب، ويقول: "في كل كبد رطبة أجر" . لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يـرحم القطة والطفل والأرملة والمسكين(٦١).

لو شاء الله سبحانه وتعالى لآمن الناس جميعا ، ولذلك فإنه عز وجلّ ينهى عن الإكراه ويترك للخلق حرية اعتناق الإسلام أو غيره من الأديان وفي هذا يقول صوت السـماء ناهيا عن إكراه الدين " ولَو شاءَ ربك لَآمن من ِفي الْأَرضِ كُلهم جمِيعا أَفَأَنت تكْـرِه الناس حتى يكُونوا مؤمِنين(٦٢).وقُلْ الْحق ِمن ربكُم فَمن شاءَ فَلْيؤمِن ومن شاءَ فَلْيكْفُر (٦٣).

الفطرة هي الاستعداد الإنساني لدين الحق ومعرفة الخالق ، وهي الفطرة التي فطـر الله الناس عليها بالميل الطبيعي الذي أودعه الله في الإنسان للـتفكير في خلـق السـموات والأرض لمعرفة المبدع الخالق ، وعندما يصل الإنسان إلى معرفة الخالق عن طريق الفطرة. فذلك الدين القيم" دين الفطرة الذي ارتقاه الإنسان لنفسه فينجو في الـدنيا ويحظـى برضوان الله في الآخرة" (٦٤).

---

٦٠ مداخلة محمد جواد رضا :سعد عبد الرحمن :الأطفال والـ عة إلى العدوان،ضمن: الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية: الأطفال والتعصب والتربية: احتمالات الا يار الـداخلي للثقافة العربية المعاصرة، الكتاب السنوي السادس، ١٩٨٩،ص١١٣.

٦١ مداخلة عبد العزيز كامل:أسامة أمين الخولي: القيم الأخلاقية في الممارسات العملية ضمن: الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية: الأطفال والتعصب والتربية: احتمالات الا يـار الداخلي للثقافة العربية المعاصرة، الكتاب السنوي السادس، ١٩٨٩،ص٢٥٧-٢٥٨.

62 سورة يونس ، الآية ٩٩.

63 سورة الكهف ، الآية ٢٩.

64 سورة إبراهيم ، الآية ١٧٢.

كان أهل الذمة الذين يعيشون داخل الدولة الإسلامية يعاملون أحسن معاملة، وكثيرا ما كان الخلفاء يقربون إليهم بعض أهل الذمة واليهود والنصارى، ويعاملو م معاملة حسنة كريمة، حتى إن هارون الرشيد وضع جميع المدارس تحت مراقبة يوحنا بن ماسويه ،وكان جورجيس بن بختشوع مقربا لدي الخليفة المنصور من بين أطبائه، ولما عرض عليه المنصور الإسلام أجابه:" رضيت بأن أكون مع آبائي في جنة أو في نار" فضحك المنصور وأمر له بعشرة آلاف دينار (٦٥).

أيا كان دين الإنسان ، فإن البشر جميعا يشبهون جمعا في أعماق واد يحاولون تسلق قمته مرتفعة فوق القمم وأعينهم تحدق في هدف واحد .

فالإنسان يستوعب الكون بقدر اتساع الأفق الذي يمتلك عليه وهو يشعر بالحصار الوجودي كلما ضاق هذا الأفق المعرفي والروحي الذي ينطوي عليه. فالأديان السماوية تنطلق من جوهر واحد وتسعى لغاية واحدة قوامها إصلاح الناس وتقويم اعوجاجهم ، وجميعها يحذر الإنسان من التفرقة ، والقتل والسلب ، ومن الاستكبار والظلم ، وتدعوه إلى التمتع بالأخلاق الفاضلة والعدل والتسامح والإخاء . إن التدين الواعي لا شك أنه محبب إلى الله ، أما التعصب الديني الضيق فهو ممقوت لديه لأنه وليد الجهل القائم على الحقد والأنانية (٦٦).

لقد كان نبي الله الأعظم نبراس حب وإخاء ومساواة، يقول صلى الله صلى الله عليه وسلم مخاطبا الجماعة:"لن تؤمنوا حتى ترحموا، فرد البعض : يا رسول الله كلنا رحيم، فقال عليه الصلاة والسلام: إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه ، ولكنها رحمة عامة للناس(٦٧). الرسول الكريم كان دعوة رحمة فكان يصفح عن قريش عندما تكون له الغلبة ويحاول إقناعهم بالحجة. قال تعالى: وإن السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ(٦٨).

هذا ويسجل للنبي عليه الصلاة والسلام حكمة قوله في التسامح والحب بين المسلمين كافة حيث يرفع إعلانه القدسي حول التسامح بين المسلمين قائلا : "لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا ،ولا تدابروا،ولا يبع بعضكم على بيع بعض ،وكونوا عباد الله إخوانا"(٦٩).

65 رابطة العالم الإسلامي: ندوات علمية في الشريعة وحقوق الإنسان،في الإسلام، بيروت١٩٧٣، ص٤٠.

٦٦ ضاهر أبو غزالة : الإنسان مفهوم اللفظة اللغوي المرجع السابق ، ص٢٠٢ .

67 صادق مهدي السعيد: حقوق الإنسان في العمل والضمان الاجتماعي في الإسلام،مجلة الحقوق،كلية الحقوق بجامعة الكويت ،السنة السابعة، العدد الثالث، سبتمبر ١٩٨٣،(صص١٥١_١٧٤) ص١٦٦.

68 سورة الحجر ، الآية ٨٥.

69 رواه مسلم.

ولقد كان الإمام أبو حنيفة كان من أبرز ممثلي الاتجاه التسامحي في الإسلام وهو الذي عرف عنه قوله المشهور : " لا نكفر أحدا بذنب ولا ننفي أحدا من الإيمان " . وضمن هذا السياق يمكن القول أن مفهوم التسامح في التراث العربي الإسلامي يتجاوز حدود كل المعاني التي توظف اليوم داخل الفكر الأوروبي كمفهوم ليبرالي(٧٠). الإسلام في جوهره شريعة السلام والرحمة والإنسانية(٧١). وذلك يتمثل بقوله تعالى: وما أرسلْناك إلا رحمةً للْعالَمِين (٧٢).

وقال جلّ القائل: " وتعاونوا علَى الْبِر والتقْوى ولَا تعاونوا علَى الْإِثْمِ والْعدوانِ(٧٣)." وقال ينبوع الرحمة تعالى وإذا عاقبتم " فَعاقِبوا بِمِثْلِ ما عوقِبتم بِهِ ولَئِن صبرتم لَهو خير لِلصابِرِين(٧٤).

فالله سبحانه وتعالى يقر بحق العقوبة ويلهم عباده بالعفو والصبر إن كانوا له قادرين لأن العفو والصبر من صفات الله سبحانه وتعالى . فالواضح من خلال هذه الآيات البينات أن الله عز وجل يدعو عباده إلى الحب والتسامح والصبر والعفو وينهى عن القتل والتدمير والفتك والإرهاب.

يبين محمد عبده في كتابه الإسلام والنصرانية بين العالم والمدنية أن الإسلام عرف التسامح كتقليد وممارسة في مجال السياسة وفي مجال العلم والفلسفة سواء بين المسلمين أنفسهم أو بين المسلمين وبين غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى ٧٥. لقد عمل المفكرون العرب في عصر النهضة من جيل محمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي وخير الدين التونسي والطهطاوي وجيل لطفي السيد والطاهر حداد على تأصيل المفاهيم الغربية الحديثة داخل المرجعية التراثية والثقافية الإسلامية . وهذا يعني أن الحرية والتسامح والعقلانية وغيرها من المفاهيم المعاصرة ليست مقصورة على أوروبا وثقافتها ولا مشروطة بسياقها التاريخي وأن هذه المفاهيم أصيلة في التراث العربي الإسلامي وفي غيره من تراث الإنسانية ومع ذلك فهي تتجلى بصور أخرى وفي نسق من المفاهيم الأخرى كالجهاد والعدل والمساواة . وعلى هذا الأساس يحاول المفكر العربي محمد عابد الجابري أن يؤصل مفهوم التسامح في التراث العربي الإسلامي من خلال مفهومي الاجتهاد

70إبراهيم إعراب : التسامح وإشكالية المرجعية في الخطاب العربي، المستقبل العربي، تشرين الأول أكتوبر، عدد ٢٢٤، ١٩٩٧، (صص٤٨_57)، ص 55.

71 إحسان الكيالي: السلامة الشخصية وحقوق الدفاع ودور المحاماة في الإسلام،مجلة الحقوق،كلية الحقوق بجامعة الكويت ،السنة السابعة، العدد الثالث، سبتمبر ١٩٨٣،(صص175_٢١٤) ١٨٤.

72 سورة النحل ، الآية ٤٤.

73 سورة المائدة ، الآية ٢.

74 سورة النحل ، الآية ١٢٦

75إبراهيم إعراب : التسامح وإشكالية المرجعية في الخطاب العربي، مرجع سابق، ص52.

والعدل ، ولا سيما على الصورة التي يأخذها مفهوم العدل عند ابن رشـد والمعتزلـة والفرق الكلامية العربية الإسلامية التي كانت تركز على مفهومي التسامح من جهـة وحرية الإنسان من جهة أخرى (٧٦).

فالروح التسامحية تسجل حضورها في عمق المعاناة والتجربة الفلسفية العربية بدءا من الكندي وابن رشد الذي عرف بعشقه وحبه للتسامح واحترام رأي الآخر والاعتـراف بفضله ولا سيما الفلاسفة المتقدمين في بلاد الإغريق سواء أكان هذا الآخر مشاركا أو مباينا له في الرأي والمعتقد .

فالنبي الأعظم هو رحمة للناس جميعا "وما أرسلْناك ِإلا رحمةً ِللْعـالَمِين" (٧٧). وفي هذا يقول صلى الله عليه وسلم : إني لم أبعث لعانا وإنما بعثت رحمة (٧٨). وهو في كل الحالات يحذر من الاعتداء على أهل الذمة إذ يقول عليه السلام " من قتل قتيلا من أهل الذمة لم يرح رائحة الجنة(٧٩).

لقد أسهمت كتابات الفكر الإسلامي العظيمة مع غيرها في تمهيد الطريق أمام التسامح بمعناها الحديث . و يمكن الإشارة في هذا الصدد إلى كتابات الصوفيين، ويمكن الإشارة إلى الانطلاقات الفكرية التسامحية الكبرى لكتاب من أمثال (حسن البصري) (توفي عام ٧٧٢م)والجاحظ (توفي ٨٦٩) والكندي (توفي ٨٧٠) والتوحيـدي (تـوفي ١٠١٤) والمعري (١٠٥٨) (٨٠).

العدل والمساواة :

الإسلام رسالة في العدل والحب والأخلاق . وبين ذلك رسول ا لله صلى الله عليـه وسلم بقوله : إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق(٨١).وقد وصف الله سبحانه وتعـالى في القرآن الكريم نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بأعلى أوسمة الفخار والثناء فقال تعالى : وإِنك لَعلى خلُقٍ عظِيمٍ(٨٢).

76إبراهيم إعراب : التسامح وإشكالية المرجعية في الخطاب مرجع سابق ، ص ٥٥.

77سورة الأنبياء ، أية ١٠٧

78 رواه مسلم ، كتاب البر والصلة ، الجزء الرابع ، صفحة ٣٠٧، جديث رقم ٢٥٩٩.

79 السيوطي ، الجامع الكبير ، اللد رقم ١ ، الصفحة ٧١٥.

80 محمد آركون : الإسلام واختلاف النماذج ، رسالة اليونسكو ، يونيو ١٩٩٢، (صص٣٠_٣٤)، ص٣١.

81 رواه البخاري .

82 سورة القلم، الآية الرابعة.

قال تعالى في كتابه العزيز : كُنتم خير أُمةٍ أُخرِجت لِلناسِ تأمرونَ بِالْمعروفِ وتنهونَ عن الْمنكرِ وتؤمِنونَ بِاللِهِ (٨٣).قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا إن أضعفكم عندي قوي ، حتى آخذ الحق له، وأقواكم عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه(٨٤).

إن الإنسان مفطور على الخير وإن ما يصدر عنه من شر فهو لأمر عارض أو نزوة جانبية لقوله تعالى : فِطْرةَ اللهِ التِي فَطَر الناس علَيها لَا تبدِيلَ لِخلْقِ اللهِ ذَلِك الدين الْقَيم(٨٥). ولقوله صلى الله عليه وسلم : كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه (٨٦).

من وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن يوجهه للقتال: انطلقوا باسم الله وبالله وعلى بركة رسول الله ، ولا تقتلوا شيخا فانيا ، ولا طفلا ، ولا امرأة ، وضعوا غنائمكم وأصلحوا، وأحسنوا، إن الله يحب المحسنين(٨٧).و يعد العدل من أهم أركان الشريعة الإسلامية وفقا لقوله تعالى: وإِذَا حكَمتم بين الناسِ أَنْ تحكُموا بِالْعدلِ (٨٨).

وضح رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرورة تطبيق العدل في الحكم على أي فرد حتى ولو كان فلذة كبده ، كما قال في حديث تطبيق الحد على القريشية المخزومية الشريفة التي تشفع لها أسامة بن زيد حِب رسول الله قوله: "أتشفع في حد من حدود الله ؟ ثم قام فخطب فقال أيها الناس إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحكم، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها(٨٩).

ولقد سجل عمر بن الخطاب أجمل حصاد فكري في تاريخ الفكر الإنساني العادل عندما كان يردد "والله لو استقبلت من أمري ما استدبرت لأخذت من الأغنياء فضول أموالهم ورددته إلى الفقراء فلا يبقلى هناك غني أو فقير" .

---

83 سورة آل عمران ، الآية ١١٠.

٢٨ نص البيان ، انظر مجلة منبر الحوار ، عدد٩، السنة ٣ ربيع ١٩٨٨، (صص٩٥_٩٦).

85 سورة الروم، الآية ٣٠.

86 رواه البخاري ومسلم .

87 أبو داوود عن أنس رضي الله عنه.

88 سورة النساء ، الآية ٥٨.

89 رواه البخاري ومسلم وأحمد متفق عليه\١البخاري ج٨، ص١٩٩.

وكما كان عمر يخطب بالحضور في موسم الحج وقد خطب بعمال الخليفة قائلا:"يـا أيها الناس إني لم أبعث عمالي عليكم ليصيبوا من أبشاركم ولا من أموالكم، وإنما بعثتهم ليحجزوا بينكم، وليقسموا فيئكم بينكم، فمن فعل به غير ذلك فليقم"(٩٠).

يروي المؤرخون أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه شاهد في السوق رجـلا كـبيرا يسأل الصدقة فقال له: ما أنت يا شيخ ؟ قال الشيخ : أنا شيخ كبير أسألُ الجزية والنفقة ، وكان يهوديا من سكان المدينة ، فإذا بعمر الخليفة التاريخي الفذ يقول له : والله مـا أنصفناك يا شيخ . أخذنا منك الجزية شابا ثم ضيعناك شيخا . وأخذ بيده إلى بيته فقدم له ما كان له من طعامه ، ثم أرسل إلى خازن بيت المال يقول له : افرض لهذا وأمثاله ما يغنيه ويغني عياله ! (٩١).

جاء سلوك عمر بن الخطاب رضي الله عنه تجسيدا تاريخيا لقيم العدالة والحب والسلام . وتدفق الحق في قلب علي بن أبي طالب صرخة إنسانية تدوي في مسـامع التـاريخ الإنساني. وبين الرجلين ، وفي سلوكهما يتجلى الحق الإلهي قمما تاريخية شامخة تتحدى إمكانيات الزمن . ففي موقف جمع بين رمزي العدالة والحق عمـر وعلـي رضـي الله عنهما، إذ يمثُلُ علي في خصومة مع أحد المسلمين أمام عمر قائمـا بالقضـاء ، وإذ يخاطب الخليفة العادل علي قائلا له : " يا أبا الحسن " ، ومناديا خصمه باسمه مجردا من الألقاب ، يغضب علي ، فيلاحظ عمر غضبه، فيخاطبه قائلا لماذا غضبت يا أبا الحسن ألأني ساويتك مع الخصم ؟ وجاءت إجابة علي لتفوق حدود كل عبقريـة وخيـال في تصوره لمفهوم الحق والعدالة والمساواة ، إذا قال يا أمير المؤمنين : إني غضـبت لأنـك كنيتني (أي أن الخليفة عمر لقبه أبا الحسن تقديرا واحتراما) ولم تكن خصمي وليس في ذلك عدل الإسلام . وفي هذا القول وفي سلوك الرجلين ما لا يمكن للتاريخ الإنساني أن يجد مثيله في مجال الحق والعدالة ومفاهيم المساواة والإخاء والحريـة (٩٢). وفي هـذا تجسيد لقول النبي الكريم : " من ابتلي بالقضاء بين المسلمين فليعدل بينهما في لفظـه ، وإشارته، ومقعده " (٩٣).

وهو ذاك الرجل علي في عهد خلافته وهو رئيس الدولة الإسلامية يمثل نفسـه أمـام القضاء في مواجهة رجل يهودي سرق درع علي وأنكر ، وها هو إذ ذاك القاضي شريح يرفض أن يحكم للإمام بالدرع المسروق، لأن أحد الشاهدين كان ابنه، ولم يقبل القاضي

90 سعيد محمد أحمد باناجة: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، مؤسسة الرسالة،بيروت، ١٩٨٥، ص٦٥.

91 مصطفى السباعي ، من روائع حضارتنا ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٧،ص٦٧.

92 محمد عبد العزيز أبو سخيلة :حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية وقواعد القانون الدولي ، مطابع الخط ، دمشق ، ١٩٨٥، ص ٥٧.

93 رواه الكبراني والبيهقي عن أم سلمة رضي الله عنها (الفتح الكبير ١٤٥/٣)

شهادة الابن ، وبقي الدرع لليهودي ، الذي ما لبس أن قال في نفسه: " أمير المـؤمنين جاء معي إلى قاضي المسلمين فقضى لي ورضي ، أشهد أن هذه أحكام الأنبياء "(٩٤). فأسلم الرجل اليهودي حبا بعدل الإمام وروعة الإسلام ، فاعترف بالـدرع لعلـي ، وأعاده ، ولكن علي أعاد الدرع إليه هدية وتكريما (٩٥).

وفي الخليفة الراشدي الأموي الخامس عمر بن عبد العزيز (كما ينظـر إليـه أكثـر المسلمين) يتجسد الحق والعدل مرة أخرى في التاريخ الإسلامي بصورة يندر أن تحدث في التاريخ . فها هو الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز يملأ الدنيا عدلا وحبا وتسامحا بعد أن ملأها بعض أسلافه جورا وحقدا وظلما . ومما يروى عنه أنه أقام لكـل العـاجزين والمعوقين في بلاد الإسلام من أقصاها إلى أقصاها مخصصات من بيت المسـلمين وأقـام للعميان موظفين من قبل الدولة يعملون على العناية م وتدبير شؤو م. وفي هذا ما لا يسجله التاريخ الإنساني في مجال حقوق الإنسان حتى المرحلة المعاصرة ، ولن يتأتى له أن يسجله وفقا للصورة التي رسمها عمر بن عبد العزيز ومن قبله السلف الصالح عمر بـن الخطاب رضي الله عنه .

وما أتاه عمر بن عبد العزيز لم يكن إلا فصلا واحدا من فيض فصول الحب والحـق والتسامح، الذي سجله في تاريخ الحق والحرية عند المسلمين ، وفي هذا السياق لا يمكن لقارئ التاريخ أن يمر دون يدهش إذ يقف أمام أحداث تفوق حدود التصور، فها هـو الخليفة العادل عمر بن العزيز " يجمع أموال بني أميه (آباؤه وأجداده) ويعيدها إلى بيت مال المسلمين ثم يقول : والله لو أقمت فيكم خمسين عاما ما أقمت فيكم إلا على ما لا أريد من العدل. وليس غريبا أبدا عن عمر هذا أن يرسل إلى أحد ولاته وهو ميمون بن مهران قائلا له : إذا جاءك كتاب مني على غير الحق فاضرب به الأرض (٩٦).

"ومما يرويه التاريخ أن عاملا من عمال عمر بن عبد العزيز كتب إلى عمر يقـول: أن الدخول في الإسلام أضر بالجزية ، ففرضها على من أسلم ، فأرسل إليه عمر ابن عبـد العزيز يقول له : قبح الله رأيك... إن الله سبحانه لم يرسل محمداً صلى الله عليه وسـلم جابياً ، وأنما أرسله هادياً ، فإذا أتاك كتابي هذا ، فارفع الجزية عمن أسلم مـن لأهـل الجزية!!" (٩٧) .

---

94 محمد الزحيلي ، حقوق الإنسان في الإسلام ، مرجع سابق ، ص ٣٤٦.

95 محمد عبد العزيز أبو سخيلة :حقوق الإنسان مرجع سابق ، ص ٥٨.

96 محمد عبد العزيز أبو سخيلة :حقوق الإنسان، مرجع سابق ، ص ٥٨.

97 عبد الله علوان :معالم الحضارة في الإسلام وأثرها في النهضة الأوروبية ،،دار السلام، بيروت _حلب ، ١٩٨٠، ص١٤٤.

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يعد من أهم فرائض الإسلام، وتحقيقه يستـلزم بداهة حرية الرأي كما جاء في كثير من الآيات الكريمة ، كما قال تعالى: وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَـرِ(٩٨). وقـال تعـالى: وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَـنِ الْمُنكَـرِ (٩٩).

وفي الحديث الشريف :" من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فن لم يستطع فبلسـانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك اضعف الإيمان"(١٠٠). فالإنسان بصورة عامة له كرامته في دار الإسلام، حيث أن المظلوم والمضطهد أيا كان دينه وجنسه ولونه، يجب أن يؤازر ، وأن يسمح له باللجوء والأمن، حتى يذوق لذة العدل في الإسلام وفي شرعه للمسيح ، وقد نوه رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلف الفضول الذي أبرم في الجاهليـة قبـل الإسلام، حين تواصي العرب فيه بمعاونة المظلوم والانتصار له من ظالميه، وقد قال عليـه الصلاة والسلام في تأييده لهذا الحلف، وكان قد حضره قبل بعثته:"لو دعيـت بـه في الإسلام لأجبت"(١٠١).

حرية الرأي والديمقراطية :

الحوار مبدأ مركزي يسجل حضوره في صدارة مبادئ الشريعة الإسلامية وقيمها، وقد أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين جميعا بالتأمل والتفكير والحوار والجدل بالحق في أمـور الدنيا والدين . وحرية الرأي ليست مجرد حق يهبه الله للمسلمين بل هو واجب وقدسي يمليه الله في سنته وكتابه ويأمر به عباده . وفي هذا المنطق يقول رسولَ اللهِ صلى اللهـم عليه وسلم: " من رأى مِنكُم منكرا فَلْيغيره بِيدِهِ فَإِنْ لَم يستطِع فَبِلسانِهِ فَإِنْ لَم يسـتطِع فَبِقَلْبِهِ وذَلِك أضعف الْإيمانِ*.(١٠٢).

ويأمر الله سبحانه وتعالى بالمجادلة والحوار حيث يقول رب العباد " ادع إِلَى سـبِيل ربك بِالْحِكْمةِ والْموعِظَةِ الْحسنةِ وجادِلْهم بِالَتِي هِي أحسن (١٠٣).وقوله تعالى: ولاَ...

---

98 سورة العمران، الآية ١٠٤.

99 سورة التوبة، الآية٧١.

100 سعيد محمد أحمد باناجة: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، مؤسسة الرسالة،بيروت، ١٩٨٥،ص٥٠.

101 سعيد محمد أحمد باناجة: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ، مرجع سابق ،ص١٠٧.

١٠٢ صحيح مسلم ، الإيمان ، الحديث ٧٠. رواه مسلم والترمزي والنسائي وابن حنبل .

103 سورة النحل، الآية١٢٥.

تجادِلُوا أَهلَ الْكِتابِ إِلا بِالتِي هِي أَحسن إِلا الذِين ظَلَموا مِنهم وقُولُوا آمنا بِالذِي أُنزِلَ إِلَينا وأُنزِلَ إِلَيكُم وإِلَهنا وإِلَهكُم واحِد ونحن لَه مسلِمونَ (١٠٤).

وهذا القول العظيم يتضمن دعوة صريحة إلى حرية الفكر وإلى الحوار العقلي الهادف ، دون اللجوء إلى العنف أو إلغاء حق الآخر في التعبير أو الرد أو حق التعرف والمعرفة(١٠٥).

يقول سبحانه وتعالى في كتابه العزيز يحث الناس على التعاون والتكافل المعيشي في المجتمع الإسلامي : ياأَيها الذِين آمنوا إِذَا تناجيتم فَلَا تتناجوا بِالْإِثْمِ والْعدوانِ ومعصِيةِ الرسولِ وتناجوا بِالْبِر والتقْوى واتقُوا الله الذِي إِلَيهِ تحشرونَ(١٠٦).

وجاءت خطبة أبو بكر الصديق رضي الله عنه بعد البيعة (١١هـ /٦٣٢م) ميثاقا تاريخيا يندر أن نجد له في التاريخ مثيلا حول حرية الرأي والقول والدعوة إلى النضال من أجل الخير والحق حيث يقول رضي الله عنه : " أما بعد ، أيها الناس، فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني . الصدق أمانة ،والكذب خيانة . والضعيف فيكم قوي حتى أرد عليه حقه إن شاء الله ، والقوي منكم الضعيف عندي ، حتى آخذ الحق منه إن شاء الله (...) أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ...أيها الناس إنما أنا مثلكم ، (...) فإن استقمت فاتبعوني ، وإن زغت فقوموني (١٠٧).

ولقد ضرب الصحابة الأوائل أروع النماذج الحضارية والسلوكية في التأكيد على حرية النقد والقول والتعبير . ففي إحدى الحوادث التاريخية خاطب أحد المسلمين الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب قائلا له في جمع من المسلمين: اتق الله يا عمر، استغرب المسلمون واستهجنوا قول الرجل للخليفة واستنكروا ذلك عليه وعندها فقال عمر رضي الله عنه لأصحابه:" ألا فلتقولوها، لا خير فيكم إن لم تقولوها، ولا خير فينا إن لم نسمعها"(١٠٨).

ويعد الاجتهاد ركنا أساسيا من أركان حرية القول في الإسلام وجاء في الحديث النبوي تأكيد صريح على هذا الجانب وتلك هي الحرية عينها فمن " اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد وأخطأ فله أجر اجتهاده " . وهذه هي إحدى حكم التاريخ الإنساني

---

104 سورة العنكبوت، الآية ٤٦.

١٠٥ محمد دكير : من الاستبداد إلى الديمقراطية ،دراسة في فكر الشيخ النائيني من خلال كتابه "تنبيه للأمة وتـ يه الملة"، الكلمة العدد ١٨، السنة الخامسة،١٩٩٨، (صص٥٢_٨٣)، ص٧٧.

106سورة المجادلة ، الآية ٩.

١٠٧ محمد عمارة : الإسلام وحقوق الإنسان : ضرورات لا حقوق ، دار الشروق القاهرة ن ١٩٨٩ ، ص ١٧٠.

108 سعيد محمد أحمد باناجة: الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، مرجع سابق ،ص٥٠.

التي تتمثل فيها كل قيم حرية التعبير والكلام والقول إذ لم نعهد في تاريخ الإنسانية فكرا أو حكمة تثيب المخطئ في اجتهاده وفي هذا القول تتمثل عبقرية التاريخ والأمم .

وكان الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم جميعا يتبادلون مع الناس الرأي في إدارة شؤون البلاد والعباد ، ومن أجل ذلك كانوا يجمعون كبار الصحابة ويتداولون معهم شـؤون الأمة ولا سيما المعضلات الكبرى التي كانت تواجه أمة المسلمين.

خطب أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ذات يوم ينهى عن المغالاة في المهور، حيـث دعا ألا يزيد مهر المرأة مهما كانت عن مهر فاطمة بنت محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو عشرة دراهم فض، وإذا بامرأة توقفه في الشارع مع كبار أصحابه ، وتقول له ناقدة :" أنسمع قولك يا عمر أم قول الله؟". فأجاب فورا وقال:"بل قول الله" فقالت إن الله يقول :" وآتيتم إحداهن قِنطَارا فَلَا تأْخذُوا مِنه شيئًا أَتأْخذُونـه بهتانـا وإِثْمـا مِبينا".فأجاب عمر بكل تواضع:" امرأة تصيب ورجل يخطئ"(١٠٩).

قال الخليفة عمر بن الخطاب : إن رأيتم فيّ إعوجاجا فقوموني . ما أنا إلا كأحـدكم فأعينوني على نفسي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإحضاري النصيحة (الشورى) فيما ولّاني الله من أمركم وم لتي من مالكم كم لة ولي اليتيم من ماله".

قال الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خطبة تولي الخلافة :" إني وليت عليكم ولست بخيركم. فإنة أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإن عصيت فلا طاعة لي عليكم ".

والنبي عليه الصلاة والسلام يقول لمن سأله : أي الجهاد أفضل يا رسول الله فأجـاب النبي عليه الصلاة والسلام " كلمة حق عند سلطان جائر. وقد عرف الرأي الحر بأنصاره ومؤيديه عند المسلمين في صدر الإسلام وفي عهدي الأمـويين والعباسـيين . فكـان المسلمون يستخرجون العلل والأسباب ويخضعون كل شئ لمبدأ الـتفكير والاجتـهاد وكانوا في ذلك كله يعتمدون القياس والمقارنات والبرهان تعمقا في البحث وإمعانـا في التفكير . ورحم الله الإمام مالك الذي كان يقول وفي قوله درر المعاني " ليس بيننـا إلا من رد ورد عليه إلا صاحب هذا القبر " ويعني محمدا عليه أفضل السلام ولـه خـالص التسليم(١١٠).

أكد الفقهاء والعلماء المسلمون أهمية الاجتهاد في قضايا الحياة والإسلام وللإمام أبو حنيفة مواقف في هذا الشأن حيث يقول عندما سئل : هل هذا الذي تفتي به هو الحـق

109 معروف الدوليبي: وضع المرأة في الإسلام،مجلة الحقوق،كلية الحقوق بجامعة الكويت ،السنة السابعة، العدد ٣، سبتمبر **١٩٨٣،(صص٢٣٧_٦٠) ص٢٤٧.**

110 ابراهيم مدكور & عدنان الخطيب : حقوق الإنسان في الإسلام ، دار طلاس ، دمشق ، ١٩٩٢، ص ١٧.

الذي لا شك فيه ؟ فأجاب الإمام بقوله المشهور : " والله لا أدري فلعلّه الباطل الذي لا شك فيه " ، ثم قال هذا رأي أبو حنيفة وهو أحسن ما قدرنا عليه ، فمن جاءنا بخير منه فهو أولى بالصواب ".

وها هو الإمام مالك يقول في هذا الخصوص أجمل القول : " أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي، فما وافق الكتاب والسنة فخذوا به وما لم يوافق فاتركوه". " ويستشهد الكواكبي ببعض الأمثلة من تاريخنا مستلا منها على حق الاجتهاد لكل مؤمن، فيذكر موقف الإمام مالك الذي قال فيه: "ما من أحد إلا وهو مأخوذ من كلامه، ومردود عليه، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم". ويستشهد الكواكبي بما قاله أبو حنيفة أنه كان إذا أفتى يقول : " هذا رأي النعمان بين ثابت يعني نفسه، وهو أحسن ما قدرنا عليه، فمن جاء بأحسن منه فهو أولى بالصواب". ولم يكن الشافعي أقل من سابقيه مرونة في الأمور الاجتهادية، فروى الحاكم أن الشافعي رضي الله عنه كان يقول: "إذا رأيتم كلامي يخالف الحديث ، فاعملوا بالحديث، واضربوا بكلامي الحائط" وأنه قال يوما للمازني: يا ابراهيم لا تقلدني فيما أقول، وانظر في ذلك لنفسك فإنه دين(١١١).

ولا يفوت الإمام أحمد بن حنبل أن يعلن رسالة بلغت أقصى درجات السمو في مجال حرية القول وديمقراطية المعرفة حين يقول : " لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا تقلد الليث ولا الأوزاعي وخذ من حيث أخذوا (١١٢). وفي هذه الدعوة ما يفوق دعوة مارتن لوثر التي يعلن فيها أن الصلة بين المؤمن والله يجب أن تكون مباشرة وليس بين المؤمن وربه وإنجيله وسيط .

ولقد أخذت المذاهب الفقهية الإسلامية بالرأي وهذا هو الإمام أبو حنيفة يؤثر الرأي على النقل والرواية ، وهذا هو الإمام الشافعي يسعى إلى أن يضع له شروطا وأصولا وضوابطا منهجية تجعل الرأي في مقام القدرة على مواجهة تحديات العصر١١٣.

ولقد خبا تألق هذا المبدأ الإسلامي الذي يحض على التفكير والنقد والاجتهاد في عصور الضعف والانحطاط حيث قضى المسلمون خمس قرون تقريبا (ق١٤ – ١٦) سلبو فيها شخصيتهم وإرادتهم وحريتهم وحقوقهم الإسلامية وأنكرت عليهم حرية التفكير وطمست في نفوسهم القدرة على الاجتهاد ، وأغلقت عليه كل أبواب الحرية الفكرية والحوار ، فخبت مع ذلك كل إمكانيات الحضارة وغابت شمس العرب بعد أن

١١١محمد ابراهيم المنوفي : نحو فلسفة تربوية لمواجهة ظاهرة الاستبداد السياسي، دراسات تربوية، المجلد العاشر، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٩٥.

112 محمد عبد العزيز أبو سخيلة :حقوق الإنسان ،مرجع سابق ، ص ٢٣٨.

113 ابراهيم مذكور & عدنان الخطيب : حقوق الإنسان في الإسلام، مرجع السابق ، ص ١٧.

جعلت من العالم في ربيع من التوهج الحضاري الدائم ، بفضل ما وصل إليه المسـلمون من عظمة الحرية، وأصالة الحوار ،ومناعة الديمقراطية، وبفضل ما وفره الإسلام للإنسان بتعاليمه السمحاء من عظمة الحقوق ، وقدسية التكريم ، فجاء الإنسان في أتون البوتقـة الإسلامية ،صانعا للحضارة ، ومنجبا للعبقرية ، وفاعلا في التاريخ وصانعا لحضاراته .

حرمة البيت والحرمة الشخصية :

نصت الشريعة الإسلامية في كثير من مصادرها على صيانة حرمة البيـت وأصـحابه ولقد جاء في القرآن الكريم: ياأيها الذِين آمنوا لَا تدخلُوا بيوتا غَيـر بيـوتِكُم حتـى تستأْنِسوا وتسلموا علَى أَهلِها ذَلِكُم خير لَكُم لَعلكُم تذَكرونَ فَإِنْ لَم تجِدوا فِيها أَحدا فَلَا تدخلُوها حتى يؤذَنَ لَكُم وإِنْ قِيلَ لَكُم ارجِعوا فَارجِعوا هو أَزكَى لَكُم والله بِمـا تعملُونَ عِلِيم لَيس علَيكُم جناح أَنْ تدخلُوا بيوتا غَير مسكُونةٍ فِيها متاع لَكُم والله يعلَم ما تبدونَ وما تكْتمونَ(١١٤).

صان الإسلام حرمة المنازل ، ومنع من هتكها وهتك أسرارها حتى ولو كان في الأمر جرم، فقد حرم الإسلام تفتيش المنازل بصورة غير شرعية. وروي عن عمر بن الخطاب أنه" سمع صوت رجل وامرأة في م ل فتسور الحائط حيث شاهد الرجل يحتسي الخمـر فقال له عمر " يا عدو الله، أكنت ترى أن الله يسترك وأنت على معصية؟ فقال الرجل: يا أمير المؤمنين أنا عصيت الله في واحدة، وأنت عصـيته في ثلاثـة : الله يقـول "ولا تجسسوا" وأنت تجسست علينا، والله يقول "وآتوا البيوت من أبوا ا وأنت صعدت من الجدار ، والله يقول "لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلـها" وأنت لم تفعل ذلك فعفا عنه عمر"(١١٥). وفي هذا الشأن يقول سول الله صـلى الله عليه وسلم: "لا تحسسوا ولا تجسسوا وكونوا عباد الله أخوانا"(١١٦).

اللجوء السياسي :

وقد وضع الفقهاء الإسلاميون تعاليم كثيرة في كيفية حسن معاملة اللاجئين الوافدين إلى دار الإسلام لشتى الأغراض ال يهة، وليس مهما من هذه التعاليم ان يثبت منها مـا يقبل التغيير بمرور الزمان والمكان وتفاوت المصالح ، وإنما المهم والأهم هو إبراز الروح الكامنة في هذه التعاليم السمحة ، وما فيها من تعاون وقسط ومروءة إنسانية نبيلة.

وقد قال الأستاذ علي منصور في كتابه " مقارنات بين الشريعة الإسلامية والقـوانين الوضعية " واصفا رعاية الإسلام هؤلاء اللاجئين والمهاجرين الأجانب المقـيمين بـين

---

114 سورة النور، الآيات(٢٧-٢٨-٢٩).

115 إحسان الكيالي: السلامة الشخصية وحقوق الدفاع ودور المحاماة في الإسلام،مجلة الحقوق،كلية الحقوق بجامعة الكويت،السنة السابعة، العدد الثالث، سبتمبر ١٩٨٣،(صص١٧٥_٢١٤) ص١٩٠.

116 إحسان الكيالي: السلامة الشخصية وحقوق الدفاع مرجع سابق ، ص١٩١.

ظهراني المسلمين بأنه بالنسبة لرعايا الدول المحاربة من المستأمنين والذميين لا تجيز الشريعة الإسلامية القبض عليهم ما داموا مقيمين وموجودين في دار الإسلام قبل نشوب الحرب بين المسلمين ودولهم ، فلا يجوز القبض عليهم أو جعلهم أسرى وسبايا، كما لا يجـوز اعتقالهم لمجرد أنهم رعايا الأعداء أو لمجرد قيام الحـرب بـين دولـة المسـلمين وبـين دولتهم(١١٧).

وقد ورد في كتاب صبح الأعشى : أن الحربي من أعداء الإسلام إذا دخل الإسـلام للسفارة بين المسلمين، كتبليغ رسالة أو نحوها، أو لسماع كلام الله، فهـو آمـن دون حاجة لعق أمان ، أما إذا دخل للتجارة وأذن له أمام المسلمين أو نائبه أو من يملك هذا الإذن_ كإدارة الهجرة في عصرنا_ فهو مسـتأمن لمدة معينة ، وهو فيها آمن على نفسه لا يروع ن وإن احتاجت أعماله التجارية لمدة أكثر من سنة فهو ذمي آمـن في جـوار المسلمين وذمتهم.

أخيرا وليس آخر، فقد ورد في مقدمة كتاب السير الكبير للإمام محمد بـن الحسـن الشيباني:"من أنه لو مات المستأمن في دار الإسلام ، أو في دار الحرب ، أو قتل في الميدان محاربا للمسلمين ، أو لا تذهب عنه ملكية ماله ، و تنتقل إلى ورثته ..." (١١٨).

السلام :

المسلم من سلم الناس ، في السر والعلن ، من يده ، ومن عينه وقلمه ، إنها مسالمة تسع الإنسانية ، وتملأ الدنيا وداعة وحبا وحسن معاملة ، وصدقا في السر والجهر وفي القول والعمل ، وهو أيضا حرب بلا هوادة على من يهدد المتمع أو يكيد له(١١٩) .

ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة يدعو إلى دين الله ثلاثة عشر عاما ، وهو على الرغم من الأذى والاضطهاد، لا يرد العدوان حتى يتقرر الأصل في السـلام ولمـا استأنف الدعوة إلى الله في المدينة بعد الإذن بالقتال كان يقول لأصحابه: "يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية (١٢٠). وهذا يؤكـد أن الأصـل في علاقـات المسلمين بغيرهم هو السلام(١٢١).وإنما وقعت الحرب حماية للدعوة ودفعا للعدوان.

117سعيد محمد أحمد باناجة: الإعلان العالمي ، مرجع سابق ، ١٩٨٥،ص١٠٧.

١١٨سعيد محمد أحمد باناجة: الإعلان العالمي مرجع سابق ،ص١١٠.

١١٩ أحمد سليم سعيدان : مقدمة لتاريخ الفكر العلمي في الإسلام، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ١٣١،الكويت ، ١٩٨٨،، ص ١٨٢.

120صبحي الصالح : الإسلام ومستقبل الحضارة ، دار الشورى، بيروت ١٩٨٢، ص٢٣٤.

121صبحي الصالح : الإسلام ،مرجع سابق ، ص٢.

وفي القرآن آيات صريحة في إيثار السلام على الحرب ومع ذلك قوله تعالى: وإِنْ جنحوا لِلسلْمِ فَاجنح لَها وتوكلْ علَى اللهِ إِنه هو السمِيع الْعلِيم (١٢٢).وقوله تعالى: ياأَيها الذِين آمنوا ادخلُوا فِي السلْمِ كَافةً ولَا تتبِعوا خطُواتِ الشيطَانِ إِنه لَكُم عدو مبِين(١٢٣).

ومفهوم السلام مفهوم أصيل في ثقافتنا الإسلامية فالسلام والإسلام مشتقان من أرومة لغوية واحدة، والسلام اسم من أسماء الله تعالى(١٢٤). والسلام هو تحية الإسلام يبادر المسلم إلى إلقائها على من يعرف ولا يعرف ويرددها في صلواته الخمس مرات متعددة كل يوم (١٢٥).

خلاصة :

ترتسم حقوق الإنسان في الإسلام قيما ومبادئ قدسية وتتدفق في القلب الإنساني عطاءا وجدانيا وروحيا. وهي في صور ا هذه تتجاوز مقامات التصور الوضعي لحقوق الإنسان العالمية التي تتجسد في نسق تصورات قانونية ووضعية تداهم الإنسان بقوى المؤسسات الخارجية التي تمتح رنينها من طاقات التهديد القانوني التي تمارسها هذه القوى المؤسساتية الخارجية . وشتان ما بين اندفاعات الوجدان الأصيل وبين ما تفرضه مدونات القوانين .

لقد جاء القرآن الكريم بكليته سفرا في مجال الحق وحقوق الإنسان . وهذه الحقوق كما تبين تأخذ طابع قيم قدسية خالدة . ونستطيع أن نقول بأن كل آية من آيات القرآن تحمل طابع قيمة إنسانية ويمكن أن تترجم إلى حق من حقوق الإنسان . لقد بلغ من تعظيم الإسلام للحقوق الإنسانية أنه نظر إليها على أ ا حقوق الله على الإنسان وهنا كما في كل موقع من القرآن والسنة نجد ملا يناله الحلم من تصورات خالدة حول مفهوم الحق . فالقرآن كتاب الحق . وسنة النبي الكريم هي ترجمة أصيلة لمنطق القرآن . لقد جاء سلوك النبي الأعظم وسلوك كبار الصحابة دستورا في الحق والقيم والمبادئ . وقد لعبت هذه المبادئ دورها التاريخي في بناء الحضارة الإنسانية بأجمل صورها وأرقى تجليا ا . ومذ خبت بين المسلمين عطاءات الحق والحقوق الخالدة للوجود الإنساني خبت حضارة العرب والمسلمين . وإذا كان العرب والمسلمون يرغبون اليوم في مكان تحت

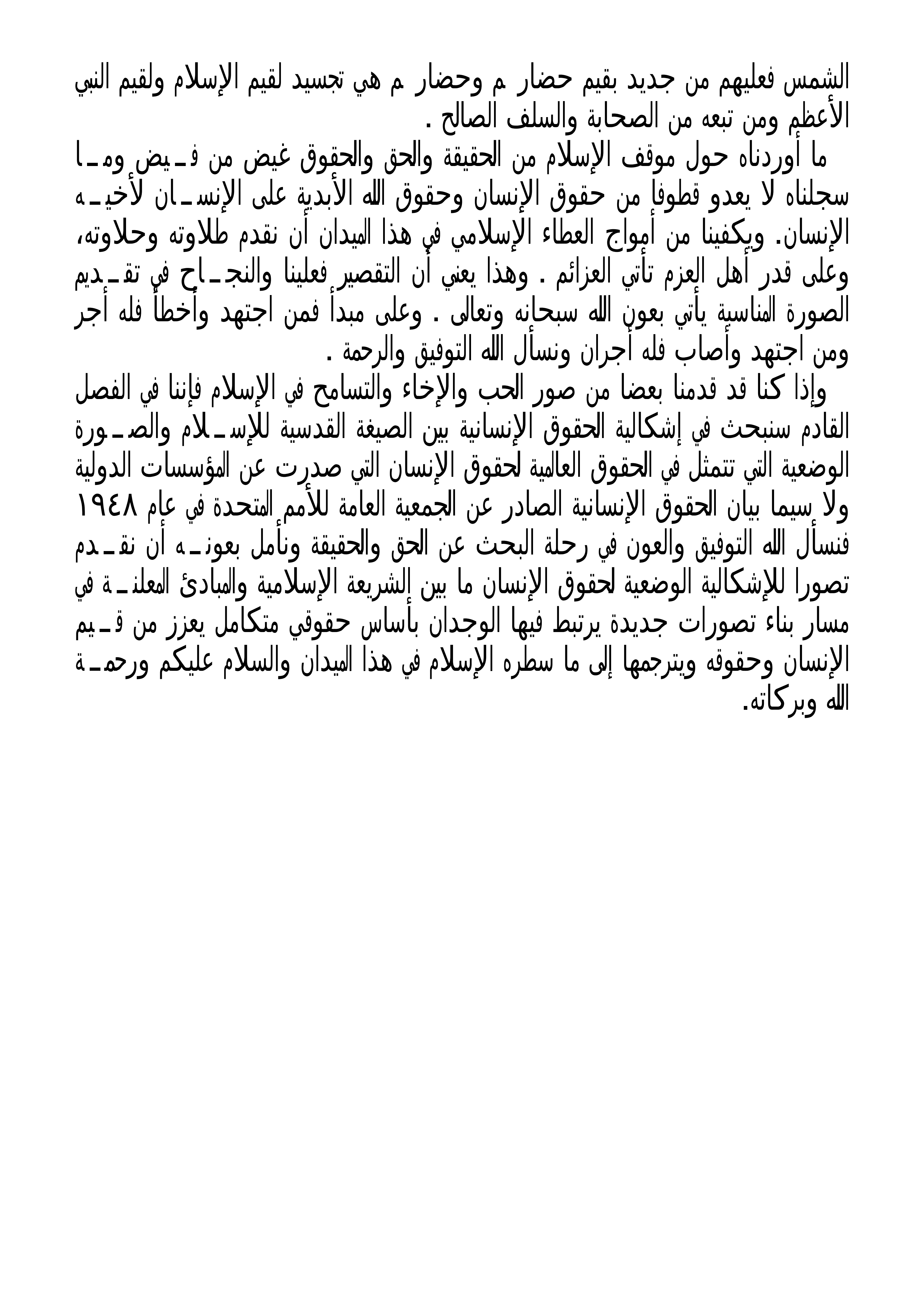
---

122 سورة الأنفال، الآية ٦١.

123 سورة البقرة، الآية ٢٠٨.

124 مساعد راشد هارون: المناهج التربوية وثقافة الإسلام، مجلة التربية، العدد ١٦، السنة٦، يناير/كانون الثاني،١٩٩٦، (صص٦_١٩)،ص٧.

125 مساعد راشد هارون : المناهج التربوية وثقافة الإسلام ، مرجع سابق ،ص٧.



الشمس فعليهم من جديد بقيم حضار م وحضار م هي تجسيد لقيم الإسلام ولقيم النبي الأعظم ومن تبعه من الصحابة والسلف الصالح .

ما أوردناه حول موقف الإسلام من الحقيقة والحق والحقوق غيض من فيض وما سجلناه لا يعدو قطوفا من حقوق الإنسان وحقوق الله الأبدية على الإنسان لأخيه الإنسان. ويكفينا من أمواج العطاء الإسلامي في هذا الميدان أن نقدم طلاوته وحلاوته، وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم . وهذا يعني أن التقصير فعلينا والنجاح في تقديم الصورة المناسبة يأتي بعون الله سبحانه وتعالى . وعلى مبدأ فمن اجتهد وأخطأ فله أجر ومن اجتهد وأصاب فله أجران ونسأل الله التوفيق والرحمة .

وإذا كنا قد قدمنا بعضا من صور الحب والإخاء والتسامح في الإسلام فإننا في الفصل القادم سنبحث في إشكالية الحقوق الإنسانية بين الصيغة القدسية للإسلام والصورة الوضعية التي تتمثل في الحقوق العالمية لحقوق الإنسان التي صدرت عن المؤسسات الدولية ولا سيما بيان الحقوق الإنسانية الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام ١٩٤٨ فنسأل الله التوفيق والعون في رحلة البحث عن الحق والحقيقة ونأمل بعونه أن نقدم تصورا للإشكالية الوضعية لحقوق الإنسان ما بين الشريعة الإسلامية والمبادئ المعلنة في مسار بناء تصورات جديدة يرتبط فيها الوجدان بأساس حقوقي متكامل يعزز من قيم الإنسان وحقوقه ويترجمها إلى ما سطره الإسلام في هذا الميدان والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.